سورة المائدة

٢٣٧ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ .. ﴿٣﴾ ﴾.

أى وما أكل منه السبع وهو الباقى، إذ ما أكله السبع عدم وتعذر أكله فلا يحسن تحريمه.

٢٣٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ .. ﴿٣﴾ ﴾.

حذفت الياء فيه وفى قوله تعالى: ﴿ .. وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً .. ﴿٤٤﴾ ﴾ لفظًا وخطًا.

أما لفظًا ففى هذه لالتقاء الساكنين وفى تلك فتبعًا لهذه.

وأما خطًا فتبعًا لحذفها لفظًا وأثبتت فيما عدا ذلك عملاً بالأصل.

٢٣٩ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا .. ﴿٣﴾ ﴾.

جملة مستأنفة لا معطوفة على أكملت فى قوله ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ وإلا كان مفهوم ذلك أنه لم يرض لهم الإسلام دينا، قبل ذلك اليوم، وليس كذلك.

٢٤٠ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ .. ﴿٤﴾ ﴾.

إن قلت: ما فائدة ذكره بعد قوله ﴿وما علمتم من الجوارح﴾ والمكلب هو معلم الكلاب للصيد وفيه تكرار؟

قلت: قد فسر «المكلب» بأنه المغرى للجارح فلا تكرار، وفى الآية اضمار بقرينة قوله ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ أى ومصيد ما علمتم من الجوارح، وإلا فالجوارح لا تحل وإن كانت معلمة.

---

٢٣٧ ـ البرهان ٨١ .

٢٤١ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ .. ﴿٥﴾﴾.

قياس قوله ﴿ومن يؤمن بالله﴾ أن يقال: ومن يكفر بالله، فالمراد بالكفر هنا الارتداد، والباء بمعنى «عن» كما فى قوله ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ أى ومن ارتد عن الإيمان.

وقيل: المراد بالإيمان المؤمن به تسمية للمفعول بالمصدر كما فى قوله تعالى: ﴿أحل لكم صيد البحر﴾ أى مصيده.

٢٤٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾.

ثم قال: ﴿.. وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

غاير بينهما لأن الأول وقع فى النية المأخوذة من آية التيمم والوضوء والنية محلها ذات الصدور والثانى فى العمل.

٢٤٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾﴾.

رفع أجر هنا ونصبه فى الفتح فى قوله: ﴿.. وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩] موافقة للفواصل.

ومفعول «وعد» هنا محذوف تقديره خيراً.

فإن قلت: كيف قال: وعملوا الصالحات ولم يقل: وعملوا السيئات، مع أن المغفرة إنما هى لفاعل السيئات؟

قلت: كل واحد ممن ليس بمعصوم لا يخلو عن سيئة وإن كان ممن يعمل الصالحات، فالمعنى إن من آمن وعمل حسنات غفرت له سيئاته كما قال تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾.

٢٤٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾.

فإن قلت: كيف قال ذلك مع أن من كفر قبل ذلك كذلك؟

قلت: نعم لكن الكفر بعدما ذكر من النعم أقبح مما قبله.

٢٤٥ ـ قوله تعالى: ﴿ .. يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ .. ﴿١٣﴾ ﴾.

وقال بعده ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾ لأن الأول فى أوائل اليهود والثانى فيمن كانوا فى زمن النبى ﷺ أى حرفوها بعد أن وضعها الله مواضعها، وعرفوها وعملوا بها زمانًا.

٢٤٦ ـ قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ .. ﴿١٤﴾ ﴾.

إن قلت: لم قال ذلك ولم يقل: ومن النصارى.

قلت: إنما قاله توبيخًا لهم، لأنهم كانوا كاذبين فى دعواهم أنهم نصارى، ادعاء منهم لنصرة الله بعدما اختلفوا «نسطورية» و«يعقوبية» و«ملكانية» أنصار الشياطين.

٢٤٧ ـ قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ .. ﴿١٥﴾ ﴾.

إن قلت: لما عفا أى ترك كثيرًا مما أخفوه من كتابهم مع أنه مأمور ببيانه؟

قلت: إنما لم يبينه لأنه لم يؤمر ببيانه؟ أو لأن المأمور ببيانه ما يكون فيه إظهار حكم شرعى، كصفته وبعثته والبشارة به وآية الرجم، دون ما لم يكن فيه ذلك مما فيه افتضاحهم، وهتك أستارهم فيعفو عنه.

٢٤٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ .. ﴿١٦﴾ ﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن العبد ما لم يهده الله لا يتبع رضوانه فيلزم الدور؟

---

٢٤٥ ـ انظر البرهان، مسألة رقم ٨٤. وراجع مختصر ابن كثير ١/ ٤٩٧، والنووى ٩٩، والبحر المحيط ٣/ ٤٤١.

٢٤٦ ـ البرهان.

٤٧ ـ البرهان ٨٦.

قلت: فيه إضمار تقديره: يهدى به الله من علم أنه يريد أن يتبع رضوانه، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ..﴾ [العنكبوت: ٦٩] أى والذين أرادوا سبيل المجاهدة لنهدينهم سبيل مجاهدتنا.

٢٤٩ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾.

فإن قلت: لم كررها وختم الأولى بقوله: ﴿.. وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ والثانية بقوله: ﴿وإليه المصير﴾؟

قلت: لأن الأولى نزلت فى النصارى حين قالوا ﴿إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ فرد الله عليهم بقوله: ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ تنبيهًا على أنه مالك لعيسى وغيره، وأنه قادر على إهلاكه وإهلاك غيره.

والثانية: فى اليهود والنصارى حين قالوا ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ فرد الله تعالى بقوله: ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ تنبيهاً على أن الجميع مملوكون له ومصيرهم إليه، يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء، ولو كان «عيسى» ابنه لم يملكه ولم يعذبه إذ الأب لا يملك ابنه ولا يعذبه.

٢٥٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ..﴿١٨﴾﴾.

فإن قلت: كيف أخبر الله عنهم أنهم قالوا: نحن أبناء الله، مع أنه لم يعرف أنهم قالوه؟

قلت: المراد بـ «أبناء الله» خاصته كما يقال: أبناء الدنيا وأبناء الآخرة.

وقيل: فيه إضمار تقديره: نحن أبناء أنبياء الله.

٢٥١ ـ قوله تعالى: ﴿.. قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم .. ﴿١٨﴾﴾.

إن قلت: كيف يصح الاحتجاج عليهم به، مع أنهم ينكرون تعذيبهم بذنوبهم، مدعين أن ما يذنبون بالنهار يغفر بالليل وبالعكس؟

قلت: هم مقرون بأنهم يعذبون أربعين يومًا، مدة عبادتهم العجل فى غيبة «موسى» عليه الصلاة والسلام لميقات ربه كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً .. ﴿٨٠﴾﴾ [البقرة: ٨٠].

٢٥٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ..﴿٢٠﴾﴾.

قال ذلك هنا، وقال فى إبراهيم ﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا﴾ لموافقة ما قبله وما بعده من النداء أو لأن التصريح باسم المخاطب مع حرف الخطاب يدل على تعظيم المخاطب به، وقد ذكر هنا نعم جسام وهو قوله: ﴿جعل فيكم أنبياء﴾ فناسب ذكر ﴿ياقوم﴾ بخلاف ذلك فى إبراهيم.

٢٥٣ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ .. ﴿٢٣﴾﴾ وهو من مقول الداخلين.

فإن قلت: من أين علما أنهم غالبون حتى قالا ذلك؟

قلت: من جهة وثوقهم بأخبار موسى عليه السلام بقوله ﴿ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم﴾.

وقيل: علما ذلك بغلبة الظن، وما عهداه من صنع الله تعالى بموسى عليه السلام من قهر أعدائه.

٢٥٤ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ..﴿٢٦﴾﴾.

إن قلت: هذا ينافى قوله قبل ﴿ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم﴾؟

قلت: لا منافاة لأن المعنى: كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها، فلما أبوا حرمت عليهم. أو كل منهما «عام» أريد به «خاص» فالكتابة للبعض وهم المطيعون، والتحريم على البعض وهم العاصون.

٢٥٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا . . ﴿٢٧﴾﴾.

هو للجنس والمراد إذ قربا قربانين.

٢٥٦ ـ قوله تعالى: ﴿. . قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

إن قلت: كيف يصح جوابًا لقوله ﴿لأقتلنك﴾؟

قلت: لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه هو الحامل له على توعده بالقتل، قال: إنما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى فلم يتقبل قربانك.

٢٥٧ ـ قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ . . ﴿٢٩﴾﴾.

أى بإثم قتلى، وإثمك الذى ارتكبته من قبلى وهو توعدك بقتلى.

فإن قلت: كيف قال «هابيل» لقابيل ذلك، مع أن إرادة الشخص السوء، والوقوع فى المعصية لغيره حرام؟

قلت: فى ذلك إضمار «لا» تقديره: إنى لا أريد أن تبوء بإثمى كما فى قوله تعالى: ﴿تالله تفتا تذكر يوسف﴾ أى لا تفتأ أو إضمار مضاف تقديره: إنى أريد انتفاء أن تبوء كما فى قوله تعالى: ﴿واشربوا فى قلوبهم العجل﴾ أى حبه.

٢٥٨ ـ قوله تعالى: ﴿. .فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

إن قلت: هذا يقتضى أن «قابيل» كان تائبًا، والندم توبة لخبر «الندم توبة» فلا يستحق النار؟

قلت: لم يكن ندمه على قتل أخيه بل على حمله على عنقه أو على عدم اهتدائه للدفن الذى تعلمه من الغراب أو على فقده أخاه، أو على قتل أخيه، لكن مجرد الندم ليس بتوبة، إذ التوبة إنما تتحقق بالإقلاع وعزم ألا يعود وتدارك ما يمكن تداركه.

٢٥٩ ـ قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ . . ﴿٣٢﴾﴾.

إن قلت: كيف يكون قتل الواحد كقتل الكل، مع أن الجناية إذا تعددت كانت أقبح؟

قلت: تشبيه أحد الشيئين بالآخر، لا يقتضى تساويهما من كل وجه، ولأن المقصود من ذلك المبالغة فى تعظيم أمر القتل العمد العدوان.

أو لأن المعنى: من قتل نفسًا بغير حق، كان جميع الناس خصومه فى الآخرة مطلقًا وفى الدنيا إن لم يكن له ولى.

أو المعنى: من قتل نبيًا أو إمامًا عادلاً، كان كمن قتل الناس جميعًا، من حيث إبطال المنفعة عن الكل.

٢٦٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ .. ﴿٤٧﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن الإنجيل منسوخ بالقرآن؟

قلت: معناه «وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه بما لم ينسخ بالقرآن».

أو المعنى: لما أنزلنا الإنجيل قلنا: وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه.

٢٦١ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

كرره ثلاث مرات، وختم الأولى بقوله ﴿الكافرون﴾ والثانية بقوله ﴿الظالمون﴾ والثالثة بقوله ﴿الفاسقون﴾.

قيل: لأن الأولى فى حكام المسلمين والثانية فى حكام اليهود والثالثة فى حكام النصارى.

وقيل كلها بمعنى واحد وهو «الكفر» عبر عنه بألفاظ مختلفة لزيادة الفائدة واجتناب التكرار.

وقيل: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ إنكارًا له فهو كافر، ومن لم يحكم بالحق، مع اعتقاده للحق، وحكم بضده فهو ظالم ومن لم يحكم بالحق جهلاً وحكم بضده فهو فاسق.

وقيل: ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر بنعمة الله، ظالم فى حكمه، فاسق فى فعله.

٢٦٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ..﴿٤٩﴾﴾.

قلت: أراد به عقوبتهم فى الدنيا، على توليهم عن الإيمان بالسبى والجزية وغيرهما، وهذه العقوبة منقطعة، بخلاف عقوبة الآخرة فإنها على جميع الذنوب من توليهم عن الإيمان، وعن جميع فروعه، ودائمة لا تنقطع.

٢٦٣ ـ قوله تعالى: ﴿..وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

إن قلت: لم خص ﴿الموقنين﴾ بالذكر مع أن أحسنية حكم الله لا يختص بهم؟

قلت: لأنهم أكثر انتفاعًا بذلك من غيرهم كنظيره فى قوله تعالى: ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾.

٢٦٤ ـ قوله تعالى: ﴿..وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾.

إن قلت: هذا يقتضى أن من واد أهل الكتاب يكون كافرًا وليس كذلك؟

قلت: إنما قال ذلك مبالغة فى اجتناب المخالف فى الدين.

أو لأن الآية نزلت فى «المنافقين» وهم كفار وقوله تعالى: ﴿إن الله لا يهدى القوم الظالمين﴾ أى ما داموا على ظلمهم والمعنى: لا يهدى من سبق فى علمه أنه يموت ظلمًا.

٢٦٥ ـ قوله تعالى: ﴿.. أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ .. ﴿٥٤﴾﴾.

«على» بمعنى اللام أو ضمن الذلة معنى «العطف» فعداها تعديته، كأنه قال: عاطفين على المؤمنين.

٢٦٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

المراد بالغلبة فيها، الغلبة بالحجة والبرهان فإنها مستمرة أبدًا، لا بالدولة والصولة وإلا فقد غلب حزب الله غير مرة، حتى فى زمن النبى ﷺ.

٢٦٧ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ .. ﴿٦٠﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن المثوبة مختصة بالإحسان؟

قلت: لا نسلم اختصاصها بذلك لغة، بل هى الجزاء مطلقًا بدليل قوله تعالى: ﴿فأثابكم غما بغم﴾ وقوله: ﴿هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون﴾؟ أى هل جوزوا. غايته أن الثواب قد يكون خيرًا، وقد يكون شرًا، يقصد به «التهكم والاستهزاء» كلفظ البشارة، لا اختصاص له لغة بالخير، بل هو شامل للشر قال تعالى: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾.

٢٦٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ .. ﴿٦٦﴾﴾.

وقضيته أن إقامة الكتاب توجب سعة الرزق والرخاء.

فإن قلت: ليس الأمر كذلك لأنا نجد كثيرًا من المؤمنين ضيقى المعيشة فى الدنيا؟

قلت: القضية خاصة بأهل الكتاب لأنهم شكوا ضيق الرزق حتى قالوا ﴿يد الله مغلولة﴾ فأخبرهم الله أن ذلك التضييق عقوبة لهم، بعصيانهم وكفرهم، والله تعالى يجعل ضيق الرزق وسعته نعمة فى بعض عباده ونقمة على الآخرين، فلا يلزم من توسيع الرزق الإكرام ولا من تضييقه الإهانة.

٢٦٩ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ .. ﴿٦٧﴾﴾.

إن قلت: ما فائدته مع أنه معلوم أنه إذا لم يبلغ ما أنزل إليه، لم يكن قد بلغ الرسالة؟

قلت: فائدته الحث على تبليغ معايب اليهود، حتى لو فرض كتمان حرف واحد، كان فى الإثم ككتمان الجميع.

أو الأمر بتعجيل التبليغ، لأنه كان عازمًا على تبليغ جميع ما أنزل إليه، إلا أنه أخر البعض خوفًا على نفسه مع بقاء العزم ويؤيده قوله تعالى: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ أى من القتل لا من جميع أنواع الأذى كشج الوجه وكسر الرباعية.

أو لعل الآية نزلت بعد أحد، لأن المائدة من أواخر ما نزل من القرآن.

٢٧٠ ـ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ..﴿٧٢﴾﴾.

كرر الآية وختم هذه بقوله: ﴿إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ والثانية بقوله: ﴿إن الله ثالث ثلاثة﴾ لأن «اليعقوبية» من النصارى زعموا أن الله تجلى فى زمن على شخص «عيسى» فظهرت منه المعجزات فصار إلهًا.

والملكانية منهم زعموا أن الله اسم يجمع «أما، وابنا، وروح القدس» فصار كل منهم إلهًا واحدًا آخذًا من قوله تعالى: ﴿أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله﴾ فكرر الآية لذلك وأخبر تعالى عنهم أنهم كلهم كفار.

٢٧١ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴿٧٢﴾﴾.

المراد بالظالمين هنا المشركون بقرينه ما قبله إذ الظالمون من المسلمين لهم ناصر، وهو النبى ﷺ لشفاعته لهم يوم القيامة.

٢٧٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴿٧٧﴾﴾.

فائدة ذكره بعد قوله ﴿قد ضلوا من قبل﴾ أن المراد بالضلال الأول ضلالهم عن الإنجيل وبالثانى ضلالهم عن القرآن.

٢٧٣ ـ قوله تعالى: ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ .. ﴿٧٩﴾﴾.

إن قلت: النهى عن المنكر بعد فعله لا معنى له؟

قلت: فيه حذف مضاف أى كانوا لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه، أو

عن مثله، أو عن منكر أرادوا فعله، أى لا يمتنعون أو المعنى كانوا لا ينتهون عن منكر فعلوه، بل يصرون عليه.

٢٧٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ أى من المنافقين أو اليهود.

إن قلت: كلهم فاسقون لا كثير منهم فقط؟

قلت: المراد بالفسق فسقهم بموالاة المشركين ودس الأخبار إليهم لا مطلق الفسق، وذلك مخصوص بكثير منهم وهو المذكورون فى قوله تعالى قبل: ﴿ترى كثيرًا منهم يتولون الذين كفروا﴾.

٢٧٥ ـ قوله تعالى: ﴿.. إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ .. ﴿٩٠﴾﴾.

إن قلت: هذه المذكورات من عمل الله، لا من عمل الشيطان؟

قلت: فى الكلام إضمار أى تعاطى هذه الأشياء من عمل الشيطان.

فإن قلت: مع هذا الإضمار كيف قال: ﴿من عمل الشيطان﴾ وتعاطى هذه الأشياء من عمل الإنسان، لا من عمل الشيطان؟

قلت: لما كان تعاطى هذه الأشياء بوسوسة الشيطان وتزيينه ذلك للفساق، صار كما لو أغرى رجل رجلاً بضرب آخر فضربه فإنه يجوز أن يقال للمغرى هذا من عملك.

فإن قلت: لم خص من الأشياء المذكورة «الخمر» و«الميسر» بالذكر فى قوله: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر﴾؟

قلت: خصهما بالذكر تعظيمًا لأمرهما ولأن ما ذكر من العداوة والبغضاء بين الناس، يقع كثيرًا بسببهما دون الباقى.

وقيل: إنما خصهما بالذكر بيانًا للواقع، لأن الخطاب للمؤمنين بدليل قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ وهم إنما كانوا يتعاطون الخمر والميسر فقط.

٢٧٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ .. ﴿٩٤﴾﴾ أى علم ظهور.

٢٧٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا .. ﴿٩٥﴾﴾.

قيل: العمد ليس بشرط لوجوب الجزاء كما بينته السنة وذكره فى الآية بيان للواقع لأن الواقعة التى كانت سبب نزول الآية، كانت عمدًا فلا مفهوم له.

٢٧٨ ـ قوله تعالى: ﴿.. هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ .. ﴿٩٥﴾﴾. الآية قيد بها تعظيمًا لها، وإلا فالشرط بلوغه الحرم.

٢٧٩ ـ قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ..﴿١٠٣﴾﴾. الآية، أى ما حرم أو ما شرع ولا يصح تفسيره بـ «خلق» لأن الأشياء المذكورة خلقها الله.

٢٨٠ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ .. ﴿١٠٥﴾﴾.

أى احفظوا أنفسكم وقوموا بصلاحها.

فإن قلت: ظاهر الآية يقتضى عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟

قلت: لا نسلم ذلك فإنها إنما تقتضى أن المطيع لا يؤاخذ بذنوب المضل. أو لأن الآية مخصوصة بما إذا خاف الإنسان عند الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على نفسه أو عرضه أو ماله.

٢٨١ ـ قوله تعالى: ﴿.. قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أنهم عالمون بماذا أجيبوا؟

قلت: هذا جواب دهشة وحيرة حين تطيش عقولهم من زفرة جهنم.

أو المعنى: لا علم لنا بحقيقة ما أجابوا به، لا إنّا لا نعلم إلا ظاهره وأنت تعلم ظاهره وباطنه، بدليل آخر الآية.

وقيل: المراد منه المبالغة فى تحقيق نصيحتهم كمن يقول لغيره: ما تقول فى فلان؟ فيقول أنت أعلم به منى، كأنه قيل: لا يحتاج فيه إلى شهادة لظهوره.

٢٨٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ .. ﴿١١٢﴾﴾.

فإن قلت: كيف قال الحواريون ذلك وهم خلص أتباع عيسى ـ وهو كفر، لأنه شك فى قدرة الله تعالى وذلك كفر؟

قلت: الاستفهام المذكور استفهام من الفعل لا من القدرة كما يقول الفقير للغنى القادر: هل تقدر أن تعطينى شيئًا وهذه تسمى استطاعة المطاوعة، لا استطاعة القدرة.

والمعنى: هل يسهل عليك أن تسأل ربك؟ كقولك لآخر: هل تستطيع أن تقوم معى؟ وأنت تعلم استطاعته لذلك.

فإن قلت: لو كان ما ذكر مرادًا لما أنكر عليهم عيسى بآخر الآية؟

قلت: إنكاره عليهم إنما كان لإتيانهم بلفظ لا يليق بالمؤمن المخلص ذكره.

٢٨٣ ـ قوله تعالى: ﴿.. تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ.. ﴿١١٦﴾﴾.

إن قلت: كيف قال عيسى ذلك، مع أن كل ذى نفس فهو ذو جسم، لأن النفس جوهر قائم بذاته، متعلق بالجسم تعلق التدبير والله منزه عن ذلك؟

قلت: النفس كما تطلق على ذلك تطلق على ذات الشىء وحقيقته كما يقال: نفس الذهب والفضة محبوبة أى ذاتهما والمراد هنا الثانى.

٢٨٤ ـ قوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ .. ﴿١١٧﴾﴾.

فإن قلت: كيف قال ذلك مع أنه غير لهم أيضًا غير ما ذكر؟

قلت معناه: «ما قلت لهم فيما يتعلق الإله».

فإن قلت: عيسى حى فى السماء فكيف قال ﴿فلما توفيتنى﴾؟

قلت: المراد بالتوفى النوم كما مر، مع زيادة فى قوله فى آل عمران: ﴿إنى متوفيك ورافعك إلىّ﴾ مع أن السؤال يتوجه على قول من قال: إن

السؤال والجواب وجدا يوم رفعه إلى السماء وأما من قال: إنهما يكونان يوم القيامة ـ وعليه الجمهور ـ فلا إشكال.

٢٨٥ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ .. ﴿١١٩﴾﴾.

أى يوم القيامة.

فإن قلت: كيف قال ذلك، مع أن الصدق نافع فى الدنيا أيضًا؟

قلت: نفعه بالنسبة إلى نفع يوم القيامة الذى هو الفوز بالجنة والنجاة من النار كالعدم.

فإن قلت: إن أراد بالصدق صدقهم فى الآخرة فالآخرة ليست بدار عمل، أو فى الدنيا، فليس مطابقًا لما ورد فيه وهو الشهادة لعيسى بالصدق بما يجيب به يوم القيامة؟

قلت: أراد به الصدق المستمر بالصادقين فى دنياهم وآخرتهم.

« تمت سورة المائدة »

٢٨٥ ـ انظر البرهان ٩١ والنووى ١٠٩.